

مساهمة الامام عليّ و من قبله من الخلفاء في تطور و ارتقاء التفسير القرآنيّ

بمانعلي دهقان منگابادي^١

مما لا جدال فيه أنّ الرسول (ص)* كان أوّل من فسّر القرآن الكريم ثمّ أخذ صحابة الرسول عليّ عاتقهم مسؤوليّة هذه المهمّة، وأشهر هؤلاء عليّ بن أبي طالب (ع) والخلفاء الثلاثة الذين سبقوه إلاّ أنّ تفاسيرهم للقرآن كانت تتفاوت في الحجم والمقدار والكيفية؛ إذ يتميّز تفسير عليّ عليه السلام - علاوة على كثرته وكميّته واتساعه - في الكيفية والمحتوى؛ لأنّ ما فسّره الخلفاء الثلاثة المتقدمون على عليّ له صبغة ظاهرة للآيات، أمّا تفسير عليّ (ع) فأنته يتجاوز الظاهر وينبئ عن المعنى الباطنيّ؛ فسار من فضل الظاهر من التفسير القرآنيّ على هدي الخلفاء الثلاثة، واتّبع المفسرون الذين فضلوا التفسير العقليّ، فط عليّ في التفسير في تفاسيرهم.

الكلمات الرئيسية: التفسير القرآنيّ، الإمام عليّ (ع)، الخلفاء

المقدمة

رضى الله عنه، فهو أكثر الخلفاء الراشدين روايةً عنه في التفسير، و السبب في ذلك راجع إلى تفرغه عن مهام الخلافة مدّةً طويلةً، دامت إلى نهاية خلافة عثمان رضي الله عنه، و تأخّرت وفاته إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسّر لهم ماخفي لهم من معاني القرآن، و ذلك ناشيء من اتساع رقعة الإسلام و دخول الأعاجم في دين الله، مما كاد يذهب بخصائص اللغة العربية.^(٤) و بغض النظر عمّا قرراه، فإنّ تفاسير عليّ (ع) تتفاوت عن تفاسير الخلفاء الثلاثة من حيث التعداد و النوعيّة و الأسلوب، ونحن هنا نبذل ما في وسعنا لتعريف النمط التفسيريّ عند خلفاء العهد الأوّل، مع العناية بأهميّة ذلك في تاريخ الإسلام، وحصّة اولئك في ترقية تفسير القرآن وخصائصهم في كيفية التفسير للقرآن.

١ - نمط أبي بكر في تفسير القرآن

كان أبو بكر من أصحاب رسول الله (ص) و له سابقة مصاحبة النبيّ (ص) وخدمته، وهو الوحيد الذي رافقه حين اختفائه في الغار عندما هاجر الرسول (ص) من مكّة إلى المدينة وهو من أوائل

نزل القرآن على النبيّ (ص) في ثلاث وعشرين سنة، وكان أسلوبه حديثاً بديعاً في لغة العرب؛ ذا مزايا تفوق العربية الراجحة في تلك البرهة، من حيث النمط البيانيّ مثل «التصريح والكناية والإيجاز و الإطناب و الحقيقة و المجاز» بحيث كان العرب - وهم أصحاب اللغة العربية - بحاجة ماسّة إلى فهم بعض لغات القرآن و عباراته لاحتوائها على «الناسخ و المنسوخ» و «المحكم و المتشابه» ثمّ «المجمل و المفصل» و ضرورة شرح النبيّ (ص) لها.

ففي عهد الرسول (ص)، قام النبيّ (ص) نفسه بشرح غوامض اللغات و تبين كلام الله؛ وبارتحاله جاء دور أصحابه في القيام بهذا الأمر؛ فقد ذكر السيوطي عشرة من أشهر الخلفاء الراشدين^(١) و أضاف أنّ روايات عليّ أكثر من الثلاثة قبله معللاً ذلك قصر خلافة الخلفاء الثلاثة، وقله سنوح الفرص لهم^(٢) بحيث لا يتجاوز ماروي عن أبي بكر عدد أصابع اليد، أمّا المنقول عن عليّ فغير قليل.^(٣)

و يؤيد الذهبيّ مقال السيوطي بقوله: «أمّا عليّ بن أبي طالب

١. استاذ مشارك في جامعة يزد، يزد، ايران

بكر إلى المشركين فقالوا هذا كلام صاحبك فقال: الله أنزل هذا فقالوا لأبي بكر نراهنك على ان الروم لا تغلب فارس فقال أبو بكر البضع ما بين الثلاث إلى التسع فقالوا الوسط من ذلك ست فوضعوا الرهان وذلك قبل أن يحرم الرهان فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم فلاموه وقالوا هلا أقررتما كما أقرها الله لو شاء أن يقول ستاً لقال، فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس فأخذوا الرهان، فلما كانت سنة سبع ظهرت الروم على فارس^(١٧). وروى ابن عباس قال لما نزلت غلبت الروم ناحب أبو بكر قريشاً فقال له رسول الله (ص) ألا احتطت فان البضع ما بين الثلاث إلى التسع^(١٨).

و نقل أن أبا بكر كان يجترز في عهد خلافته تفسير القرآن بالرأي ولا يرى ذلك، فقيل إنّه كان يقرأ القرآن حتى اذا انتهى إلى آية «وفاكهة وأباً» فسئل عن معنى «أب»، فقال: أئى سماء تظلني وأئى أرض تظلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم^(١٩).

والواقع أنّه كان يبدي رأيه الشخصي فيما لا بوجه القطع وكان عمر الخليفة الثاني يحترم رأيه الشخصي ويتبعه؛ و في تأويل لفظة «كلاله»، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن قد رأيت في الكلاله رأياً، فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له، وإن يكن خطأ فمئني والشيطان، والله منه بريء، إن الكلاله ما خلا الولد والوالد. فلما استخلف عمر رضي الله عنه، قال: إن لأستحي من الله تبارك وتعالى أن أحالف أبا بكر في رأي رآه^(٢٠).

و في الآية «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»^(٢١) قال أبو بكر: النظر إلى وجه الله تعالى^(٢٢). و عليه أكثر المتكلمين و المفسرين الذين قالوا برؤية الله سبحانه، فقد استندوا إلى الرواية المنقولة عن أبي بكر^(٢٣).

٢ - نمط عمر بن الخطاب في تفسير القرآن

كان عمر هو الثاني بعد رسول الله (ص) في تصدّر الحكم والخلافة، ونقلت عنه روايات تفسيرية تزيد عمّا رويت عن أبي بكر و عثمان، نشير إلى بعضها و نتطرق إلى رأيه و أسلوبه في التفسير. جاء عنه أنّه قال في الآية «يا أيها الإنسان ما غرّك ربّك الكريم»^(٢٤) إن ما جعل الإنسان يتجرأ على ربّه هو حمقه و جهله^(٢٥) فجرّه إلى تجاسره.

و في الآية «وجعلت له مالا ممدوداً»^(٢٦) فسّر المال الممدود بالبذور و الحبوب و ما يحتاج إليها الإنسان في كلّ شهر^(٢٧). و في تفسير الآية «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً»^(٢٨) قال المراد من ذلك هو الإنفاق في سبيل الله^(٢٩). و في الآية «يؤمنون بالحبّ والطاغوت»^(٣٠) فسّر الحبّ

المسلمين بعد خديجة و عليّ و زيد بن حارثة و أمّ أيمن. و يشير القرآن في الآية: «ثاني أنين إذ هما في الغار»^(٥) إلى مرافقته للنبيّ (ص) في الهجرة إلى المدينة، و لم يؤخذ عليه إلاّ بعد وفاة النبيّ (ص) و من الحقّ أن تؤخذ خدماته بعين الاعتبار^(٦).

فقد أورد السيوطي له عدداً يسيراً من التفسير^(٧) و من فضائله التي رواها عدد من مفكّري المسلمين و منهم الشافعيّ أنّه كان لأبي بكر موضع لائق في العلم بعد النبيّ ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ^(٨).

و ذكروا من فضائله جمع القرآن في أيامه و تدوينه. و منهم القرطبيّ الذي قال: كان القرآن في عهد النبيّ محفوظاً في صدور الصحابة و كان بعض آياته و سوره مكتوباً على سطوح جريد النخل و الصخور العريضة و عظام أكتاف البعير و ساقه و جلده و فحده^(٩)؛ و لما قُتل من حفاظ القرآن في عهد أبي بكر و قد عدّوهم سبعمائة رجل، أمر أبو بكر بإشارة من عمر و زيد بن ثابت بجمع القرآن^(١٠).

ولا ينكر أن أبا بكر كان يقوم بشرح القرآن و تفسيره ويستنير بأي القرآن، ثمّ يبدي رأيه، فقد أخرج الحاكم النيسابوريّ في مستدركه: أن أبا بكر قال لبعض أصحابه ما تقولون في قول الله عزوجل «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا»^(١١) وقوله تعالى «الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم»^(١٢) فقالوا: الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يفتوا وقوله و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أي بحطيئة فقال أبو بكر حملتموها على غير وجه الحمل، ثمّ استقاموا و لم يفتوا إلى إله غيره و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أي بشرك^(١٣).

و مع هذا فقد كان ابو بكر يخالغ إلى غيره في تفسير الآيات و شرحها لما جاء أنّه لما نزلت الآية «من يعمل سوءاً يجزيه»^(١٤) قال أبو بكر: ما هذه بمقنية منّا فقال له النبيّ (ص): يا أبا بكر إنّما يجزي المؤمن بها في الدنيا و يجزي بها الكافر يوم القيمة^(١٥).

ذكرت النصوص التاريخية أنّ أبا بكر كان يختلط عليه أحيانا فهم معاني القرآن و كان المسلمون يذمّونه على ذلك، فلمّا نزلت «لم غلبت الروم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم»^(١٦) ذكر المفسّرون في سبب نزولها أنّه كان بين فارس و الروم حرب فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك رسول الله (ص) و أصحابه فشق ذلك عليهم و فرح المشركون بذلك لأن فارس لم يكن لهم كتاب و كانوا يجحدون البعث و يعبدون الأصنام، و الروم أصحاب كتاب فقال المشركون لأصحاب رسول الله (ص) إنكم أهل كتاب و النصرارى أهل كتاب و نحن أميون و قد ظهر إخواننا من اهل فارس عليّ إخوانكم من الروم فان قاتلتمونا لنظهن عليكم فتزلت هذه الآية ففرح بها أبو

يقولوا كتب عمر ما ليس في كتاب الله لكتبته قد قرأناها «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزير حكيم» وأخرج هذه الجملة النسائي وصححه الحاكم من أبي بن كعب^(٤٠).

التعمق في الآيات

كان الخليفة الثاني يرى أنه لا ضرورة للجميع فهم تفسير الآيات كلها، كما لا يلزم أن يجهد الإنسان نفسه لفهم الآيات ولا يجوز التعمق لذلك، فقد روى عن أنس أنه قال: كنا عند عمر وعليه قميص في ظهره أربع رقاع فقرأ «وفاكهة وأبا»^(٤١) فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الاب ثم قال ما نسينا عن التكلف^(٤٢).

و أورد الشوكاني عن أنس أن عمر قرأ على المنبر فأنتنا فيها حباً و عنياً إلى قوله (وأباً) قال كل هذا قد عرفناه فما الأب ثم رفض عصا كانت في يده فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك أن لا تدري ما الأب اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه^(٤٣)

تعذيب من تساءل عن المشابهة من الآيات

جاء عن الخليفة الثاني أنه كان يوبخ من يسأله عن الآيات الغامضة، فقد سأله أحد عن تفسير آية، فغضب عمر و قرعه بالسوط كما فعل مثله بصبيغ التيميمي لإستفساره عن معنى بعض الآيات بحيث أدماه و أعاد الكرة في ضربه أيضاً بعد شفائه و نفاه أخيراً إلى مصر و أمر أبا موسى الأشعري واليه أن يمنع الناس من مجالسة صبيغ^(٤٤) و ذكر أن عمر تحيّر في بعض الموضوعات لعدم تمكّنه من الإجابة، فعن ابن عباس أنه إذا سئل عمر، كان يقول «لا أمرك و لأثمك»^(٤٥)

الإستعانة بالشعر الجاهلي في فهم الآيات

و ممّا نسب إلى عمر أنه كان يوصي المسلمين بالإستعانة والاستفادة من الشعر الجاهلي لفهم الآيات، فقيل أنه تلا الآية «وأياخذهم على تخوّف»^(٤٦) ثمّ سأل الحاضرين عن معنى التخوّف، فأجاب رجل من بني هذيل إنّه يعني في لغة هذيل التنقّص، ثمّ ذكر هذا البيت:

تخوّف الرّحل منها تامكاً قرداً

كما تخوّف عود النبعة السّفن^(٤٧)

و هنا قال عمر: أيها الناس عليكم بدويانكم شعر الجاهليّة فإنّ فيه تفسير كتابكم و معاني كلامكم.^(٤٨)

بالسحر و الطاغوت بالشيطان^(٣١).

و نسب إلى عمر من الفضائل أنّ الله تعالى وافق سؤاله أو قل مقترحاته و ذكروا آياً من القرآن في تأييد ذلك، لقد أورد ابن كثير في تفسيره عن أنس بن مالك أنه قال: قال عمر بن الخطاب وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فزلت «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»^(٣٢) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب. قال وبلغني معاتبه النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت إن انتهيتن أو لبيدن الله رسوله خيراً منكن حتى أتت إحدى نسائه قالت: يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات»^(٣٣) الآية^(٣٤).

و عنه أنه سأل الله تعالى أن يذكر حكم الخمر بوضوح و جلاء، فقد ذكر القرطبي في تفسيره عن سعيد بن جبير أنه قال: كان الناس على أمر جاهليتهم حتى يؤمروا أو ينهوا، فكانوا يشربونها أول الاسلام حتى نزلت: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»^(٣٥). قالوا: نشرها للمنفعة لا للآثم، فشربها رجل فتقدم يصلي بهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، فزلت: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى»^(٣٦). فقالوا: في غير عين الصلاة. فقال عمر: اللهم أنزل علينا في الخمر بيانا شافيا، فزلت: «إنما يريد الشيطان»^(٣٧) الآية. فقال عمر: انتهينا، انتهينا^(٣٨).

و ممّا نسب إلى عمر أنه الوحيد الذي كان يعتقد بأية الرجم و يقول إننا كنّا نقرأ فيما نقرأ لاترغبوا عن آياتكم فانه كفر بكم^(٣٩) و نسبوا إليه هذا البيان في موضع آخر عن آية الرجم و ذكر ابن حجر أنّ عمر كان يرى آية الرجم كانت جزء من القرآن و أورد عن سعيد بن المسيب قال: لما صدر عمر من الحج و قدم المدينة خطب الناس فقال أيها الناس قد سنّنت لكم السنن و فُرِضت عليكم الفرائض و تركتكم على الواضحة ثم قال إياكم أن تملكوا عن آية الرجم أن يقول قائل لا نجد حدين في كتاب الله فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم و رجمنا والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبته بيدي الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة قال مالك الشيخ و الشيخة الثيب و الثيبة و وقع في الحلية في ترجمة داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عن عمر لكتبته في آخر القرآن و وقعت أيضاً في هذا الحديث في رواية أبي معشر الآتي، التنبيه عليها في الباب الذي يليه فقال متصلاً بقوله قد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم و رجمنا بعده و لولا أن

إستئثار الخليفة الثاني بكعب الأخبار

و مما أخذ عليّ عمر أنّه كان يستأثر بمقال كعب الأخبار وأخباره ويستمع الحديث منه؛ فقد قيل أنّه قال لكعب: يا كعب، خوفنا هيجنا حدثنا نهنبا. فقال له كعب: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة يمثل عمل سبعين نبياً لانت عليك تارات لا يهملك إلا نفسك، وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي منتخب إلا وقع جاثياً على ركبتيه، حتى إن إبراهيم الخليل ليبدلي بالخلة فيقول: يارب، أنا خليلك إبراهيم، لا أسألك اليوم إلا نفسي! قال: يا كعب، أين تجد ذلك في كتاب الله؟ قال: قوله تعالى: «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون»^(٤٩). و كان عمر يصغي إلى أخبار كعب عن الحوادث الآتية؛ فقد روي أن كعباً قال لعمر رضی الله عنه: يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لانبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة، قال: وما هي؟ قول الله: «بمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»^(٥٠)»^(٥١).

قال ابن كثير: فإنه لما أسلم كعب في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضی الله عنه عن كتبه قديماً فرمما استمع له عمر رضی الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الامة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده^(٥٢). و كذّب عليّ (ع) كعب الأخبار، و كان كعب يسيء الظن بعليّ (ع)^(٥٣) فكلّ ما يروى في الموهومات في التشبيه و التجسيم منقول عن كعب الأخبار في الأحاديث و الروايات التفسيرية.

فقد ذكر الطبري في تفسيره أنّه جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: إتق الله تعالى، أفتسأل عن هذا؟ فقال كعب: دعوه، فإن يك عالماً ازداد، وإن يك جاهلاً تعلم. سألت أين ربنا، وهو على العرش العظيم متكئ، واضع إحدى رجليه على الاخرى!^(٥٤)

٣- نخط عثمان في تفسير القرآن

كان عثمان بن عفان (ثالث الخلفاء الراشدين) في الجاهلية من أشرف قريش و أثريائها، وأنفق مالا كثيراً في عهد النبي (ص) لنشر الإسلام، وتولّى الخلافة بعد عمر بن الخطاب، قيل إنّه أكمل جمع القرآن فأمر باتخاذ مصحف أبي بكر نموذجاً يسير عليه النساخ وأحرق المصاحف الأخرى^(٥٥).

يرى البعض أنّ عثمان استشار بعض الصحابة في ذلك ليمنع شيوع بعض القرآت الشاذة و اختلاف المسلمين في قراءة

القرآن^(٥٦). فعّد بعض الصحابة إحراق المصاحف عملاً غير جليل و منهم ابن مسعود^(٥٧)؛ لكن بعضهم رآه مفيداً.

و ممّا أخذوا على عثمان تسامحه في تطبيق أحكام القرآن والسنة النبويّة من ذلك توزيع الأراضي المفتوحة على أقربائه وأنسابه ممّا لم يسبق عليه غيره في الإسلام، فقيل أنّه أوّل من فعل ذلك^(٥٨). و أنّه و هب اموالاً من بيت مال المسلمين على أقربائه مع سوء سابقتهم، بحيث اعترض عليه خازن أمواله زيد بن أرقم و استقال من منصبه^(٥٩). فلمّا تولّى عليّ (ع) الخلافة عدّ عمل عثمان مخالفاً لمعايير العدل و القسط، و عمل - فور اختياره للخلافة - على استعادة الأراضي الموهوبة من قبل عثمان^(٦٠).

و أخذوا على عثمان تولية من اشتهروا بالفسق أمور المسلمين، مثل و ليد بن عقبة الذي شرب الخمر و أمّ الجماعة في الصلاة و هو سكران، وشكا المسلمون الأمر إلى عثمان، فهذّدهم عثمان، ثم شكوا إلى عائشة - و قيل إلى عليّ (ع) - ممّا اضطرّ عثمان إلى إنزال العقوبة و الحدّ على وليد^(٦١).

و ولّى عثمان سعيد بن العاص الكوفة فطرده أهلها، كما ولّى عبدالله بن أبي سرح أخا عثمان الرضاعي ولاية مصر فشكا أهلها سوء سيرته^(٦٢) و ممّا ارتدّ عبد الله بن سعد فأمر النبي (ص) بقتله مع اثنين آخرين أينما وجدوا حتّى إذا تعلقوا بستار الكعبة، لكن عثمان أخفاه و طلب له الأمان من الرسول و بذلك لم يمثل أمر الرسول (ص)^(٦٣) بل ولّى ابن سعد مصر ممّا أدّى إلى سخط الشعب و وقوع الفوضى و الفتن و انجرّ إلى قتل عثمان^(٦٤).

كما قيل عن عثمان فراره في معركة أحد و غيابه في معركة بدر و بيعة رضوان^(٦٥) و كان عثمان لا يقصر صلواته في السفر^(٦٦) بينما كان النبي (ص) والخلفاء قبل عثمان يقصرون صلواتهم إلى ركعتين من الأربع حتّى إنّ عثمان كان يسير على هذا المنهج إلا انه غير سلوكه فجعل يصلي اربع ركعات ممّا أثار تعجب المؤرخين في حوادث سنة ٢٩ هجرية^(٦٧) أما تفاسير عثمان فأكثرها تستند إلى روايته عن النبي (ص) و قلّمها يروي و ينسب إلى نفسه^(٦٨).

و ممّا اختلف فيه عليّ (ع) و عثمان الآية: «أحلّ لكم صيد البحر و طعامه متاعاً لكم وللسيارة و حرّم عليكم صيد البر مادمتم حراماً»^(٦٩) إذ كان عثمان يجيز أكل لحم الصيد إذا اصطاده الصياد و لم يكن محرماً أو لم يتم الصيد لأجله، أمّا عليّ (ع) فكان يستند إلى هذه الآية و يحرم أكل الصيد على الإطلاق^(٧٠).

استئثار عثمان بكعب الأخبار في تفسير القرآن

قيل إنّ عثمان استأثر بكعب الأخبار أيضاً بحيث كان يعرض عليه

تفقدوني، سَلُونِي فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْاَوَّلِينَ وَالْاٰخِرِينَ. أما - والله - لو نُثِبْتُ لِي الْوَسَادُ، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنتهم، حتى يزهر كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا ربَّ إِنَّ عَلِيًّا قَضَى بِقَضَائِكَ. والله إني أعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه، ولولا آية في كتاب الله لاخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة -" ثم قال -". سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقَدُونِي، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتموني عن اية آية، لاخبرتكم بوقت نزولها وفي من نزلت، وأنبأتكم بنسخها من منسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها. والله ما فنة (تُضَلُّ أو تُهْدَى) إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة^(٧٦).

و على الرغم من أن بعض المسائل كان يستهدف الإيذاء؛ أمّا الإمام (ع) فلم يقابل بالشدة؛ فنراه عندما طلب الجمع أن يسألوه ما بدأ لهم وما يشاؤون، قام إليه ابن الكواء المعروف في عدائه للإمام (ع) وطرح مسائل تافهة لإيذاء الإمام (ع)، أمّا الإمام (ع) بحلمه وتآبه ما واجهه مواجهة الخليفة عمر لإصبع بن نباته الذي اتهمه بالتفحص عن المتشابهات و ضربه بالسوط، بل طلب الإمام (ع) من ابن الكواء أن لا يكون سؤاله من التعنت بحيث يبعث على إيذاء الآخرين، بل يكون للإستفهام و إدراك المعنى^(٧٧).

قال ابن عباس: اعطي الإمام (ع) تسعة أعشار العلم و إته لأعلمهم بالعشر الباقي^(٧٨). و روى أنه قال: ولو شئت أوقرت سبعين بغيراً من تفسير فاتحة الكتاب^(٧٩).

و قال ابن عباس: عليّ (ع) علم علماً علمه رسول الله (ص) و رسول الله (ص) علمه الله فعلم النبي علم الله و علم عليّ من علم النبي و علمي من علم عليّ و ما علمي و علم اصحاب محمد في علم عليّ إلا كقطرة في سبعة ابحر^(٨٠).

وَرَوَوْا: أَنَّ أبا بكر سئلَ عن قوله تعالى: «وفاكهة وأباً»^(٨١) فلم يعرف معنى الأبّ في القرآن، وقال: أي سماء تظلي و أي ارضي تظلي^(٨٢) أم كيف اصنع إن قلت في كتاب الله تعالى بما لا اعلم أما الفاكهة فتعرفها، وأما الأبّ فالله أعلم به. فبلغ أمير المؤمنين (ع) مقاله في ذلك، فقال: (ع): يا سيحان الله، أما عَلِمَ أَنَّ الأبَّ هو الكلاً والمرعى وأن قوله عزّ اسمه: «وفاكهة وأباً» اعتداد من الله سبحانه بإنعامه على خلقه فيما غذاهم به وخلقهم لهم ولأنعامهم مما تحيي به أنفسهم وتقوم به أجسادهم^(٨٣).

و روي أن عَمَرَ أمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر فنبهه عليّ (ع) بقوله «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»^(٨٤) مع قوله تعالى

بعض أحكام الشريعة؛ فقد جاء في الأخبار إته دخل أبوذر عليلاً متوكياً على عصاه على عثمان و عنده مائة الف درهم حملت إليه من بعض النواحي، فقال: إني أريد ان اضم إليها مثلها، ثم ارى فيها رأيي، فقال أبوذر: اذكر إذ رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزينا عشاء؟ فقال: بقي عندي من فيء المسلمين اربعة دراهم لم اكن قسمتها ثم قسمها فقال: الان استرحت. فقال عثمان لكعب الاحبار: ما تقول في رجل أدى زكاة ماله هل يجب عليه بعد ذلك شيء؟ قال: لا لو اتخذ لبنه من ذهب ولبنه من فضه، فقال أبوذر رضي الله عنه: يا ابن اليهودية ما انت والنظر في احكام المسلمين، فقال عثمان: لو لا صُحْبْتُكَ لقتلتك، ثم سيره إلى الربذة^(٧١).

الإمام عليّ (ع) و مذهبه في تفسير القرآن

كان رابع الخلفاء الراشدين وأول زعيم ديني في رأي الشيعة وأحد أصحاب الكساء وأول من آمن بالنبي (ص) و صاحب الفضائل الكثيرة والكرامات ولا يعادله أحد بعد رتبة النبي (ص) وهو أعلم بتفسير القرآن في رأي العلماء المسلمين. عدّه القرطبي أعظم المفسرين بقوله: أمّا صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعليّ بن أبي طالب (ع) و يتلوه عبد الله ابن عباس^(٧٢).

عليّ (ع) أعلم الناس بآيات القرآن و معانيه

لقد روي عن عليّ عن روايات كثيرة بالطرق الروائية المتعددة وأعلن على المنبر: سلوني عن المستقبل (إلى يوم القيمة) حتى اخبركم وقال أبو الطفيل: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبلي نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل^(٧٣). وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: قلت لعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة: لم كان صفو الناس إلى عليّ؟ فقال: يا ابن أخي إن علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له السلطة في العشرة والقدم في الاسلام والصبه برسول الله (ص) والفقّه في السنة والنجدة في الحرب، والجود في الماعون. ومناقبه وفضائله كثيرة جداً رضي الله عنه وأرضاه^(٧٤). وقال النبي (ص) في عليّ (ع) عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ و لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض^(٧٥).

إتساع رأي عليّ (ع) في الإجابة عما يسأل

من مميزات عليّ (ع) و خصائصه أنه لم يخش و لم يتوان من سؤال يسأله أحد و لم يعجز عن الإجابة، بل إته صرّح على المنابر و على رؤوس الأشهاد بأعلى صوته «يا معشر الناس، سلوني قبل أن

«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين»^(٨٥) على ان أقل مدة للحمل ستة أشهر فقال عمر: لو لا عليّ لهلك عمراً، وروي أنّ امرأة أقرت بالزنا وكانت حاملاً فأمر عمر برجمها فقال: إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك علي ما في بطنها، فترك عمر رجمها وقال لو لا عليّ لهلك عمر^(٨٦).

ومن خصائص تفسير عليّ (ع) أنّه لم يكن يفسر الآيات التي توهم التشبيه تفسيراً بالمعنى الظاهر كما فعله بعض المفسرين فوقوا في مشكلة التجسيد و التشبيه و التجسيم، أما عليّ (ع) فقد راعى مبنى التزيه في تفسيره لتلك الآيات فلا يرى أثر من التشبيه فيه، و سار الشيعة و المعتزلة، على منهج عليّ (ع) بينما سار الأشاعرة و أهل الحديث مسار الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا عليّاً (ع) في الحكم.

قيل إنّ لما سئل أعرابي: أين ربك؟ قال: بالمرصاد. وليس يريد به المكان. وذلك بالإلتفات إلى الآية «إن ربك لبالمرصاد»^(٨٧) فقد سئل عليّ عليه السلام أين كان ربنا قبل أن خلق السماوات والأرض؟ فقال: أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان^(٨٨).

و مما يجب ذكره هو أنّ عليّاً كان يأخذ علمه من القرآن، فحينما سئل عنه (ع): هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة؟ قلت وما في هذه الصحيفة؟ قال العقل وفكاك الاسير وأن لا يقتل مسلم بكافر^(٨٩).

الناسخ و المنسوخ

وما سئل عليّ (ع) عن الناسخ و المنسوخ و آياته و الحكمة، ذكر فيه من وجوه الحكمة و الرحمة الإلهية و تلطفه بالعباد فقال (ع): إن الله تبارك و تعالی بعث رسوله صلى الله عليه وآله بالرأفة و الرحمة، فكان من رأفته و رحمته أنه لم ينقل قومه في أول نبوته عن عادتهم، حتى استحکم الاسلام في قلوبهم، و حلت الشريعة في صدورهم، فكانت من شريعتهم في صدورهم، فكانت من شريعتهم في الجاهلية أن المرأة إذا زنت حبست في بيت و اقيم بأودها حتى يأتي الموت، و إذا زنى الرجل نفوه عن مجالسهم و شتموه و آذوه و عيروه و لم يكونوا يعرفون غير هذا. قال الله تعالى في أول الاسلام: «واللاتي يأتيهن الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً»^(٩٠) و اللذان يأتيهما منكم فآذوهما فان تابا و أصلحا فأعرضوا عنهما فان الله كان تواباً رحيماً^(٩١). فلما كثر المسلمون و قوى الاسلام، و استوحشوا امور الجاهلية، أنزل الله تعالى: «الزانية و الزان فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»^(٩١) فنسخت هذه الآية آية الحبس و الأذى. و من ذلك أن العدة كانت في الجاهلية

على المرأة سنة كاملة و كان إذا مات الرجل ألفت المرأة خلف ظهرها شيئاً - بعة و ما جرى مجريها - ثم قالت: البعل أهون عليّ من هذه، فلا أكتحل ولا أمتشط ولا أتطيب ولا أتزوج سنة، فكانوا لا يخرجونها من بيتها بل يجرون عليها من تركة زوجها سنة، فأنزل الله تعالى في أول الاسلام «والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً و صية لآزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج»^(٩٢) فلما قوى الاسلام، أنزل الله تعالى «والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشرأ فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليهن» و شرح الإمام نماذج متعدّدة من نسخ الآيات مثل موضوع العدة في الوفاة و الدفاع و محاربة الكفار و الإرث و غير ذلك^(٩٣).

الحكم و المتشابه

و ذكر الحكم و المتشابه في القرآن صريحاً، فالحكم في رأي عليّ (ع) تلك الآيات القرآنية يعمل بها لأنها لم تنسخ^(٩٤) و السبب في هلاك الناس في المشاهات عدم فهمهم لها و عدم الإستفسار عن أوصياء الأنبياء و أتباع أهوائهم و عقولهم.

المتشابه

تلك الآيات القرآنية التي تقبل الوجوه و المعاني المتعدّدة و عليه قد يقع شخص ما لم يلتفت إلى مثل هذه الآيات في اشتباه كما نقل في الخوارج الذين تمسكوا بالآيات المتشابهة و انصرفوا عن المحكمات منها، ففرى عليّاً (ع) ينهي ابن عباس عن الاحتجاج على الخوارج لأن القرآن يقبل وجوهاً متعدّدة و عليك الاحتجاج عليهم بالسنة^(٩٥).

و من جهة أخرى كان عليّ (ع) يقول: المتشابه من القرآن هو الذي انخرّف منه متفق اللفظ مختلف المعنى، مثل قوله عزوجل: «يضل الله من يشاء و يهدي من يشاء»^(٩٦) فنسب الضلالة إلى نفسه في هذا الموضوع، و هذا ضلالهم عن طريق الجنة فعلهم، و نسبه إلى الكفار في موضع آخر و نسبه إلى الاصنام في آية اخرى فمعنى الضلالة على وجوه فمنه ما هو محمود، و منه ما هو مذموم، و منه ما ليس بمحمود ولا مذموم، و منه ضلال النسيان، فالضلال المحمود هو المنسوب إلى الله تعالى و قد بيناه، و المذموم هو قوله تعالى: «و أضلهم المسامري»^(٩٧) و قوله: «و أضل فرعون قومه و ما هدى»^(٩٨) و مثل ذلك في القرآن كثير، و أما الضلال المنسوب إلى الاصنام فقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: «واجتبي و بني أن نعبد الاصنام رب إنهم أضلن كثيراً من الناس»^(٩٩) الآية، و الاصنام لم تضلن أحداً على الحقيقة و إنما ضلّ الناس بها و كفروا حين

ذلك خلقه إياه، وكذلك قوله: «إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين»^(١١٤) أي الجاحدين فالتأويل في هذا القول باطنه مضاد لظاهره. ومعنى قوله: «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك» فإنا خاطب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هل ينتظرون المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعابونهم أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك، يعني بذلك أمر ربك والآيات هي العذاب في دار الدنيا، كما عذب الأمم السالفة، والقرون الخالية، وقال: «أو لم يروا أنا تأتي الأرض نقصها في اطرافها»^(١١٥) يعني بذلك ما يهلك من القرون، فسماه إتيانا، وقال: «قاتلهم الله أنى يؤفكون»^(١١٦) أي لعنهم الله أنى يؤفكون فسمى اللعنة قتالاً، وكذلك قال: «قتل الانسان ما أكفره»^(١١٧) أي لعن الانسان، وقال: «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»^(١١٨) فسمى فعل النبي فعلاً له، ألا ترى تأويله على غير ترتيبه. ومثل قوله: «بل هم بلقاء ربهم كافرون»^(١١٩) فسمى البعث لقاء، وكذلك قوله: «الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم»^(١٢٠) أي يوقنون أنهم مبعوثون، ومثله قوله: «ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم»^(١٢١) أي أليس يوقنون أنهم مبعوثون؟ واللقاء عند المؤمن البعث، وعند الكافر المعينة والنظر، وقد يكون بعض ظن الكافر يقيناً، وذلك قوله: «ورأى المحرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها»^(١٢٢) أي أيقنوا أنهم مواقعوها. وأما قوله في المنافقين «وتظنون بالله الظنون»^(١٢٣) فليس ذلك بيقين، ولكنه شك، فاللفظ واحد في الظاهر، ومخالف في الباطن، وكذلك قوله: «الرحمن على العرش استوى»^(١٢٤) يعني استوى تدبيره وعلا أمره وقوله: «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله»^(١٢٥) وقوله: «هو معكم أينما كنتم»^(١٢٦) وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم»^(١٢٧) فإنا أراد بذلك استيلاء أمانته بالقدرة - التي ركبها فيهم - على جميع خلقه، وأن فعلهم فعله^(١٢٨).

انتساب الإسرائيليات وإرجاعه إلى الإمام عليّ (ع)

نسبت بعض التفاسير إلى الإمام عليّ (ع) والتي يُشكُّ في صحّة انتسابها إليه، فمن ذلك انتساب نجمة الزهرة و كانت في أصلها امرأة افتتنت هاروت و ماروت، ثمّ تعلّمت الاسم الأعظم و صعّدت إلى السماء، فمسخها الله على صورة نجمة^(١٢٩)

تفسير القرآن بالقرآن

يفسّر عليّ (ع) القرآن في موارد كثيرة وبلاستفادة من آي القرآن لتفسير آيات أخرى غيرها، مثلاً نراه يفسّر لفظة «وجه» في الآية: «والله المشرق والمغرب، فأينما تولّوا فثمّ وجه الله، إن الله واسع عليم»^(١٣٠)؛ والمراد من الوجه هنا عباد الله المصطفون الذين

عبدوها من دون الله عزوجل. وأما الضلال الذي هو النسيان، فهو قوله تعالى: «واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحديهما فتذكر إحديهما الأخرى»^(١٣١). وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه فمنه ما نسبته إلى نبيه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه «ووجدك ضالاً فهدى»^(١٣٢) معناه ووجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناك بك. وأما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضد الهدى، والهدى هو البيان، وهو معنى قوله سبحانه «أو لم يهد لهم»^(١٣٣) معناه أي ألم أبين لهم مثل قوله سبحانه «فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى»^(١٣٤) أي بينا لهم. ووجه آخر هو قوله تعالى: «وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون»^(١٣٥) وأما معنى الهدى فقوله عزوجل «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»^(١٣٦) ومعنى الهادي ههنا المبين لما جاء به المنذر من عند الله وقد احتج قوم من المنافقين على الله تعالى أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها؟ وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله «ولكل قوم هاد» فقال طائفة من المنافقين: ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً؟ فأجابهم الله تعالى بقوله «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين - إلى قوله: - أولئك هم الخاسرون»^(١٣٧). فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى وقد أوضح الإمام (ع) عدداً كثيراً من الفاظ القرآن في الوحي والخلق توضيحاً مفيداً^(١٣٨).

تجنب التفسير الظاهري

قال الإمام عليّ (ع) لا ينبغي أن يفسّر القرآن ظاهرياً في جميع الحالات، لأنّه يؤدّي إلى سوء فهم القرآن، ففي الآيات: «جاء ربك و الملائكة صفّاً صفّاً»^(١٣٩)؛ و الآية «لقد جئتمونا فرادى»^(١٤٠)، وكذلك الآية «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك»^(١٤١). قال إنّها آيات نزلت بحقّ و لا يمكن أن نأول لفظة «الحيء» في كلّها بالمعنى الواحد، لأنّ معنى الحيء في الله عزوجلّ يختلف تمام الاختلاف عن معناه في غير الله تعالى. وكثير من آي القرآن لا يأول على المعنى الظاهريّ.

و لإيضاح أكثر جاء الإمام عليّ (ع) بأمثلة أخرى في قول الله تعالى وهو حكاية عن إبراهيم عليه السلام حيث قال: «إني ذاهب إلى ربي»^(١٤٢) فذهابه إلى ربه توجهه إليه في عبادته و اجتهاده، ألا ترى أن تأويله غير ترتيبه. وقال: «أنزل إليكم من الانعام ثمانية أزواج»^(١٤٣) وقال: «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد»^(١٤٤) فانزاله

مساهمة الامام عليّ و من قبله من الخلفاء في تطور و ارتقاء التفسير القرآني

عرفهم بأولى الأمر، و في معنى الأمر هو ما يقوم به الملائكة في تقدير الأمور في ليلة القدر^(١٣١).

و في تفسير الآية: «وحملة وفضاله ثلاثون شهراً»^(١٣٢) استند إلى الآية: «والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين»^(١٣٣) و قال: أقلّ مدّة الحمل عند الحامل ستّة أشهر^(١٣٤) و استند إلى الآية نفسها في موضوع آخر و ذلك في تفسير الآية: «وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم...»^(١٣٥) قال: مدّة الحضانه و الرضاعة تحرم النكاح و مازاد عن الستين فيرفع التحريم^(١٣٦).

التفسير اللغوي عند الإمام عليّ (ع)

يُقَدِّمُ الإمامُ عليّ (ع) التفسير اللغوي في بعض الأحيان و المواقع، و للمثال على ذلك في الآية «...فأرنا مناسكنا»^(١٣٧) ففسّر «أرنا» «أبرز» أو «علم»^(١٣٨)

و في الآية «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت، إن ترك خيراً الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف حقاً على المتقين»^(١٣٩) قال الإمام (ع): لما احتضر أحد أصحابه و لم يملك الرجل سوى سبعمائة أو ستمائة درهم فأراد أن يوصي، فقال عليّ (ع): إن لفظه «الخير» تعني المال الكثير و ليس لك مال كثير فلا حاجة لك إلى الوصية بل ينبغي أن تدع ما عندك إلى وراثتك^(١٤٠).

و قال (ع) في معنى «المهدي» الذي جاء في الآية «فأذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحجّ فما استيسر من الهدي»^(١٤١) الغرض منه هو الشاة^(١٤٢).

التوضيح العملي للآيات و شرحها

كان الإمام عليّ (ع) يشرح آيات القرآن الكريم لأصحابه و من يليه بصورة عملية أحياناً، ففي شرح معنى «الخيض الأبيض» و «الخيض الأسود» في الآية «كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»^(١٤٣) إذ كان معناه غامضاً فقال الإمام عليّ (ع): لقد تميّز الخيط الأبيض من الأسود الآن (أي: أنّ الفجر قد بان) و كان وقته^(١٤٤).

تبيين مصاديق الآيات

كان عليّ (ع) في تفسير القرآن يلتفت إلى المصاديق، أي أنّه يبين التفسير المصادقي للقرآن، ففي الآية «و منهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار»^(١٤٥) يقول: الغرض من حسنة الدنيا، المرأة الصالحة ذات السيرة الحسنة، والغرض من حسنة الآخرة، نساء الجنّة ذوات العيون السوداء، والغرض من عذاب النار المرأة المذمومة^(١٤٦).

الأحكام الفقهية لعليّ (ع)

كان عليّ يلفت إلى شرح آيات الأحكام والأمر الفقهية، ففي شرح الآية «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانتى بالانتى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان»^(١٤٧) قال (ع) أيما حر قتل عبداً فهو قود به، فإن شاء مولى العبد أن يقتلوا الحر قتلوه، وقاصوهم بثمان العبد من دية الحر، وأدوا إلى أولياء الحرّ بقية دينه. وإن عبد قتل حرّاً فهو به قود، فإن شاء أولياء الحرّ قتلوا العبد، وقاصوهم بثمان العبد وأخذوا بقية دية الحرّ، وإن شاءوا أخذوا الدية كلها واستحيوا العبد. وأي حرّ قتل امرأة فهو بها قود، فإن شاء أولياء المرأة قتلوه وأدوا نصف الدية إلى أولياء الحرّ. وإن امرأة قتلت حرّاً فهي به قود، فإن شاء أولياء الحرّ قتلوها، وأخذوا نصف الدية، وإن شاءوا أخذوا الدية كلها واستحيوها وإن شاءوا عفوا^(١٤٨).

و عندما يجرى الحديث عن الاعتكاف، نرى الإمام (ع) يسعى إلى توضيح و ما يجب على المعتكف أن يفعل، ففي الآية «ثمّ أتّموا الصيام إلى الليل، و لا تباشروهنّ و أنتم عاكفون في المساجد...»^(١٤٩) يقول، يجب أن يتزامن الاعتكاف مع الصوم، أي: على المعتكف أن يصوم أيضاً، و له أن يزور المريض بعيادته له و أن يشايح الجنّازة و يحضر صلاة الجمعة و يذهب إلى أهله دون مجالستهم و البقاء عندهم و مخالطتهم^(١٥٠).

إيضاح ما أهم على الناس

كان عليّ (ع) في تفسيره يوضح ما أهم من الآيات وأشكل على الناس، ففي الآية «وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم لهنّ فريضة، فنصف ما فرضتم لهنّ إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح»^(١٥١) قال (ع) المقصود الزوج في العبارة «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» فرجع الخلاف و أزال الأهمام^(١٥٢).

و في الآية «حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى»^(١٥٣) اختلفوا في الغرض من الصلاة الوسطى، قال (ع): المراد من ذلك صلاة الجمعة في يومه، و صلاة الظهر في باقي الأيام^(١٥٤).

و في الآية: «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم و ممّا أخرجنا لكم من الأرض»^(١٥٥) فقال في «طيبات ما رزقناكم» الغرض من ذلك التمور و الحبوب و الغرض من «ما أخرجنا لكم» الذهب و الفضة^(١٥٦) (و مخرجها المعدن).

و في لفظة «الربائيتين في الآية: «ربائيتين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون»^(١٥٧) قال هم الذين يربون الناس

- ١٤- سورة النساء ١٢٣ .
- ١٥- القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/٥ .
- ١٦- سورة الروم ٥-١٠ .
- ١٧- ابن الجوزي، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن: زاد المسير في علم التفسير ١٤٢/٦، تحقيق محمد عبدالرحمن عبدالله، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ.ق.
- ١٨- نفس المصدر. و: الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير ٢١/٢١ تصحيح صدقي جميل العطار بيروت، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.ق. و: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٣٧٠/١ تحقيق علي شيري، بيروت، دار الفكر ١٤١٥ هـ.ق.
- ١٩- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمرو الدمشقي: تفسير القرآن العظيم ٥٠٤/٤ بيروت دار المعرفة ١٤١٢ هـ.ق. و: السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور ٣١٧/٦ الطبعة الأولى، جدة، دار المعرفة ١٣٦٥ هـ.ق.
- ٢٠- الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن ٣٧٦/٤ و السيوطي: الدر المنثور ٢٥٠/٢
- ٢١- سورة يونس: ٢٦
- ٢٢- الطبري، جامع لبيان في تفسير القرآن ١٣٧/١١ .
- ٢٣- الطبري نفسه. و: ابن أبي الشيبه (محمد بن عثمان): كتاب العرش ٩٥ تحقيق محمد بن حمد الحمود، الطبعة الأولى، الكويت، مكتبة المعلق ١٤٠٦ هـ.ق.
- ٢٤- سورة الانفطار: ٦ .
- ٢٥- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/١٩ .
- ٢٦- سورة المدثر: ١٢
- ٢٧- الطبري، جامع البيان ١٩٢/٢٩ و: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٧١/١٩ .
- ٢٨- سورة البقرة: ٢٤٥
- ٢٩- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٠٠/١
- ٣٠- سورة النساء: ٥١ .
- ٣١- الطبري، جامع البيان ١٨٣/٥ .
- ٣٢- سورة البقرة: ١٢٥ .
- ٣٣- سورة التحريم: ٥ .
- ٣٤- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٧٤/١ و القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ١١٢/٢ . و ابن حنبل، المسند ٢٤/١، بيروت دار الصادر. و: ابن حبان، علاء الدين بن بلبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الطبعة الثانية، تحقيق شعيب الارنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ.ق. ١٩٩٣
- ٣٥- سورة البقرة: ٢١٩ .

بإرواتهم الحكمة و الذكاء في إدراك العلوم^(١٥٨).
فمما مرّ بنا نستنبط أنّ الخلفاء الثلاثة قبل عليّ كانوا يتوجّهون الى معاني ظاهر الآيات، فاستأثر الأشاعرة والسلفيون من المفسرين هؤلاء الثلاثة واتّجهوا إلى التفسير الظاهريّ، وعدم ثباتهم في بيان ما أبدوه في تفاسيرهم جعل الذين ساروا على آرائهم وأقوالهم قائلين بالتوقف والتعطيل، لكنّ علياً (ع) كان له دورٌ أساسيّ ثابت في توسيع آفاق التفسير القرآنيّ، لا في عدد الروايات التفسيرية الذي يفوق من سبقه من الخلفاء، بل الأسلوب التفسيريّ وكيفيته، وما قدّمه كان بعيداً عن الشكّ والارتياب، ولا يكتفي بالظاهر التفسيريّ بل يتجاوز في علمه إلى التأويل العقلي، ذلك العمل الأسلوبيّ الذي سار عليه العدلّيون (الشيعة و المعتزلة) و نهجوا نهجه ومنهجه.

الهوامش

- ١- السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن: الإتقان في علوم القرآن ٥٢٩/٢ تصحيح محمد سكرّ و مصطفى قصاص، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٧ ق. ١٩٨٧ م.
- ٢- نفس المصدر
- ٣- نفس المصدر
- ٤- الذهبي، محمد حسين: التفسير و المفسرون ٦٥/١، القاهرة، دار الكتب الحديثة ١٣٩٦ هـ.ق. ١٩٧٦ م.
- ٥- سورة التوبة: ٤
- ٦- الأميني، عبدالحسين: الغدير ٤٣/٧، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتب العربية ١٣٧٨ هـ.ق. ١٩٦٧ م.
- ٧- السيوطي، تاريخ الخلفاء ٩٤/١ تصحيح محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٧١ هـ.ق. ١٩٥٢ م.
- ٨- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري ١٧/٧ تصحيح محمد محي الدين و محبّ الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة ١٣٧٩ هـ.ق.
- ٩- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن ٤٩/١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي ١٤٠٥ هـ.ق.
- ١٠- نفس المصدر ٥٠/١ .
- ١١- سورة الأحقاف ١٣ .
- ١٢- سورة الأنعام ٨٢ .
- ١٣- الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد: المستدرک علی الصحیحین ٤٤٠/٢، تحقيق الدكتور يوسف المرعشي، بيروت، دار المعرفة ١٤٠٦ هـ.ق.

- ٣٦- سورة النساء: ٤٣.
- ٣٧- سورة المائدة: ٩١.
- ٣٨- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٠/٥ و: الطبري، جامع البيان ٤٤/٧.
- ٣٩- السيوطي، الدر المنثور ١٠٦/١.
- ٤٠- ابن حجر، فتح الباري ١٢/١٢٧.
- ٤١- سورة عبس: ٣١.
- ٤٢- همام ١٣/٢٢٩.
- ٤٣- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ٣٨٧/٥، بيروت، عالم الكتاب. و: السيوطي، الدر المنثور ٦/٣١٧.
- ٤٤- الدارمي، عبدالله بن بهرام، السنن، ٥٥/١، دمشق، مطبعة الإعتدال.
- ٤٥- الطبري، جامع البيان ٩/٢٢٦.
- ٤٦- سورة النحل: ٤٧.
- ٤٧- اللخمي، ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي: الموافقات ٤٥/١، تحقيق عبدالله دراز، بيروت، دار المعرفة.
- ٤٨- نفس المصدر. و القرطبي (نفسه) ١٠/١١١.
- ٤٩- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٩٣. و: ابن الجوزي، زاد المسير ٤/٣٦٤.
- ٥٠- سورة الرعد: ٣٩.
- ٥١- الطبري، جامع البيان ١٣/٢٢٠.
- ٥٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/١٩.
- ٥٣- الاميني، عبدالحسين، الغدير ٧/٢٧٩، بيروت دار الكتب العربية ١٣٧٩ هـ.ق.
- ٥٤- الطبري، جامع البيان ٢٥/١٢.
- ٥٥- الزركلي، خير الدين، الأعلام ٤/٢١٠، الطبعة التاسعة، بيروت دار العلم للملايين ١٩٩٠ م.
- ٥٦- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١/٥٢.
- ٥٧- العلامة الحلبي، كشف المراد ٤٠٥. الطبعة الرابعة، طهران، مكتبة إسماعيليان ١٣٧٣ هـ.ش.
- ٥٨- ياقوت الحموي، معجم البلدان ١/١٦٨، بيروت، مكتبة الحياة.
- ٥٩- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١/٤٦، بيروت دارالمعرفة.
- ٦٠- عبده، الشيخ محمد، شرح نهج البلاغة ١/٤٦، بيروت دارالمعرفة.
- ٦١- الأميني، الغدير ٨/١٢٣.
- ٦٢- العلامة الحلبي، كشف المراد ٤٠٥.
- ٦٣- الشوكاني، فتح القدير ٤/٤٨٧.
- ٦٤- ابن أبي الحديد ٤/١٥٠.
- ٦٥- القرطبي ٤/٢٤٥.
- ٦٦- ابن كثير ١/٥٤٦.
- ٦٧- شرف الدين، عبدالحسين، النصّ و الإجتهد ٤٠٨. الطبعة الأولى، مطبعة سيد الشهداء ١٤١٤ هـ.ق.
- ٦٨- القرطبي ١/١٠٧ و ٢/٧.
- ٦٩- سورة المائدة: ٦٩.
- ٧٠- الطبري ٧/٧١.
- ٧١- الرواندي قطب الدين، قصص الانبياء، ٣٠٥، تحقيق الميرزا غلامرضا عرفانيان، الطبعة الاولى، قم، مؤسسة الهادي ١٤١٨ هـ.ق. و: جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ١٨٧، الطبعة الرابعة، بيروت دار الهادي، ١٤١٥ هـ.ق.
- ٧٢- القرطبي ١/٣٥. و: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن ٨/١. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الاولى، القاهرة، دار احياء الكتب العربية ١٣٧٦ هـ.ق. و: الثعالبي، ابو زيد عبدالرحمن بن مخلوف ١/١٤١، تحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة و علي محمد معوض و عادل احمد عبد الموجود، الطبعة الاولى، بيروت، دار احياء التراث العربي ١٤١٨ هـ.ق.
- ٧٣- الثعالبي، التفسير ١/٥٢.
- ٧٤- المرّي، ابو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال ٢٠/٤٨٧، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الاولى، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٣ هـ.ق.
- ٧٥- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين ٣/١٢٤.
- ٧٦- الشيخ المفيد، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ١/٣٥، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، بيروت دار المفيد.
- ٧٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٩.
- ٧٨- القندوزي، سليمان بن ابراهيم، ينابيع المودة لذوى القربى ١/٢١٣ تحقيق سيد علي جمال اشرف الحسيني، الطبعة الاولى، طهران مؤسسة دار الأسوة ١٤١٦ هـ.ق.
- ٧٩- القندوزي ٣/٤٥٦.
- ٨٠- ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب ١/٣١٠، تحقيق لجنة من آساتذة النجف الاشرف، مطبعة الحيدرية ١٣٧٦ هـ.ق.
- ٨١- سورة عبس: ٣١.
- ٨٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٦.

- ۸۳- الشيخ المفيد، الارشاد ۲۰۰/۱ و: ابن شهر آشوب
۱۸۰/۲.
- ۸۴- سورة الاحقاف: ۱۵
- ۸۵- سورة لقمان: ۱۴.
- ۸۶- ابن طاووس الحسيني، الطرائف، ۵۱۶ الطبعة الاولى، قم
مطبعة الخيام ۱۳۷۱ ه.ش.
- ۸۷- سورة الفجر: ۱۴
- ۸۸- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في
تفسير القرآن ۳۵۲/۱، تحقيق لجنة من العلماء والأخصائيين، الطبعة
الاولى، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ۱۴۱۵ ه.ق.
- ۸۹- ابن كثير ۸۰/۲
- ۹۰- سورة النساء: ۱۵-۱۶
- ۹۱- سورة النور: ۲.
- ۹۲- سورة البقرة: ۲۴۰
- ۹۳- المجلسي، بحار الأنوار ۶/۹۰
- ۹۴- الحرّ العاملي، تفصيل وسائل الشيعة ۴۱۱/۲۰.
- ۹۵- السيوطي، الدر المنثور ۴۱/۱.
- ۹۶- سورة المدثر: ۳۱
- ۹۷- سورة طه: ۸۵
- ۹۸- سورة طه: ۷۹
- ۹۹- سورة ابراهيم: ۳۶
- ۱۰۰- سورة البقرة: ۲۸۲
- ۱۰۱- سورة الضحى: ۷
- ۱۰۲- سورة السجدة: ۲۶
- ۱۰۳- سورة فصلت: ۱۷
- ۱۰۴- سورة براءة: ۱۱۵
- ۱۰۵- سورة الرعد: ۷
- ۱۰۶- سورة البقرة: ۲۶-۲۷
- ۱۰۷- المجلسي، البحار ۱۷/۹۰-۱۶
- ۱۰۸- سورة الفجر: ۲۲.
- ۱۰۹- سورة الأنعام: ۹۳
- ۱۱۰- سورة الأعراف: ۱۵۸
- ۱۱۱- سورة الصافات: ۹۹
- ۱۱۲- سورة الزمر: ۶
- ۱۱۳- سورة الحديد: ۲۵
- ۱۱۴- سورة الزخرف: ۸۱
- ۱۱۵- سورة الرعد: ۴۱
- ۱۱۶- سورة براءة: ۳۰
- ۱۱۷- سورة عبس: ۱۷
- ۱۱۸- سورة الانفال: ۱۷
- ۱۱۹- سورة السجدة: ۱۰
- ۱۲۰- سورة البقرة: ۴۶
- ۱۲۱- سورة المطففين: ۴
- ۱۲۲- سورة الكهف: ۵۲
- ۱۲۳- سورة الاحزاب: ۱۰
- ۱۲۴- سورة طه: ۵
- ۱۲۵- سورة الزخرف: ۸۴
- ۱۲۶- سورة الحديد: ۴
- ۱۲۷- سورة المجادلة: ۷
- ۱۲۸- المجلسي، بحار الأنوار ۱۱۵/۹۰-۱۱۴
- ۱۲۹- ابن الجوزي، زاد المسير ۱۷۰/۱.
- ۱۳۰- سورة البقرة: ۱۱۵
- ۱۳۱- الحويزي، نور الثقلين ۴/۶۲۶.
- ۱۳۲- سورة الأحقاف: ۱۵
- ۱۳۳- سورة البقرة: ۲۳۳
- ۱۳۴- السيوطي، الدر المنثور ۹/۶
- ۱۳۵- سورة النساء: ۲۳
- ۱۳۶- السيوطي، الدر المنثور ۲/۲۴۱
- ۱۳۷- سورة البقرة: ۱۲۸
- ۱۳۸- السيوطي نفسه ۱/۲۵۳
- ۱۳۹- سورة البقرة: ۱۸۰
- ۱۴۰- السيوطي، الدر المنثور ۱/۳۱۸
- ۱۴۱- سورة البقرة: ۱۹۶
- ۱۴۲- الطبري، جامع البيان ۲/۲۹۷ و: السيوطي (نفسه)
۳۸۴/۱
- ۱۴۳- سورة البقرة: ۱۸۷
- ۱۴۴- السيوطي، الدر المنثور ۲/۴۳۲
- ۱۴۵- سورة البقرة: ۲۰۱
- ۱۴۶- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ۲/۴۳۲
- ۱۴۷- سورة البقرة: ۱۷۸
- ۱۴۸- الطبري، جامع البيان ۲/۱۴۳
- ۱۴۹- سورة البقرة: ۱۸۷
- ۱۵۰- السيوطي، نفسه ۱/۵۲۱
- ۱۵۱- سورة البقرة: ۲۳۷
- ۱۵۲- السيوطي، نفسه ۱/۵۲۱
- ۱۵۳- سورة البقرة: ۲۳۸

- ٢٩٠/١
١٥٤ - ابن الجوزي، زاد المسير ٢٤٩/١
١٥٥ - سورة البقرة: ٢٦٧
١٥٦ - السيوطي، نفسه ٦٠٤/١ و: الشوكاني، فتح القدير
١٥٧ - سورة آل عمران: ٧٩
١٥٨ - ابن الجوزي، نفسه ٣٥٠/١